"سيمياء الأهواء"

نموذج الترجمة العالمة*

أحمد الفوحي

كلية الآداب – مكناس

مقدمة:

صدرت عن دار الكتاب الجديد المتحدة ببيروت الترجمة العربية لكتاب **"سيميائيات الأهواء من حالات الأشياء إلى حالات النفس"** لصاحبيه ألجيرداس غريماس وجاك فونتيي. وقد قام بالترجمة الباحث السيميائي سعيد بنكراد؛ وهي الترجمة التي نال عليها الأستاذ الباحث جائزة المغرب للكتاب في الترجمة سنة 2010. وهي، بالفعل، ترجمة متميزة توافرت فيها شروط الترجمة الناجحة التي ينبغي للمترجمين أن يقتفوا، في ترجماتهم، أثر الأستاذ بنكراد لينجزوا ترجمات، تمكن مستعمل اللسان العربي من الاطلاع على ما كتب بغير لسانه اطلاعا لا تشوبه شوائب. وسنحاول، في هذه الورقة، تبيين الجوانب التي جعلت هذا العمل ترجمة ناجحة، لم تخطئ لجنة الترجمة هدفها في منح الجائزة لهذا العمل ولصاحبه. فما مقومات الترجمة الناجحة وما تجلياتها في **"سيميائيات الأهواء"؟**

مقومات الترجمة الناجحة: ساد الاعتقاد لدى البعض أن الترجمة انتقال من نسق لساني إلى نسق لساني آخر. حتى كان الظن أن المسألة مختزلة في المعرفة باللغتين والإلمام بموضوع النص المترجم(1). والحال أن اللغات الطبيعية وسيلة الإنسان لإدراك العالم وتقطيعه؛ فهي تعكس نظرتنا إلى العالم. ويترتب عن هذا أن الترجمة عملية انتقال من رؤية للعالم إلى رؤية للعالم ثانية، قد لا تكون بالضرورة مطابقة أو مماثلة للرؤية الأولى. ولو كان الأمر كذلك لاتّحدت اللغات الطبيعية في لغة واحدة ولما احتاجت البشرية إلى الترجمة.

ومسألة رؤية العالم والنظرة إليه فكرة تعود في أصلها إلى وليام هامبولت (1767–1835)، وأساسها أن كيفية إدراك العالم ينظمها الفكر بواسطة اللغة. وأن كل لغة تقترح تمثيلا لسانيا للعالم،

العالمة

يتعدد بتعدد اللغات. ذلك أن " اللغة ليست، بأي حال من الأحوال، وسيلة للفهم [والإفهام] فحسب، وإنما أثر فكر الفرد المتكلم ورؤيته للعالم". (2) وهي الفكرة التي ستتطور لاحقا، مع بداية القرن العشرين وسيذيع صيتها فيما عرف بـ **فرضية وورف–سابير**(3)، ومؤداها أن المراقبين لا يستخلصون للحقيقة المادية الواحدة صورة واحدة للكون إلا إذا كانت خلفية تفكيرهم اللسانية متطابقة أو قابلة للمطابقة، بشكل أو بآخر. وعليه فإن المقولات اللسانيةَ هي ما يحكم التمثيلات الذهنية؛ فنظرتنا إلى العالم محكومة باللسان الذي ننتمي إليه. فباختلاف مجموعتين لسانيتين نكون أمام عالمين لا أمام عالم واحد. وهذا ما جعل جورج مونان، الذي اشتغل باللسانيات والترجمة وتساءل عن إشكالاتها، يؤكد أن النظرة إلى العالم تتم طبق الأشكال التي سبق للغات الطبيعية أن رسمتها، وأن تصنيف المفاهيم يختلف من ثقافة إلى أخرى(4). فاللغات الطبيعية تسمي العالم، وعلى المترجم الحاذق البحث عن المعادلات لا عن التطابق. وهذا ما يقتضي، عند الانطلاق من النص الأول، التخلص من دوالّه déverbalisationوالاحتفاظ بالمدلولات للانتقال إلى عالم المفاهيم، الدائرة الكونية المشتركة، ثم البحث عن الكيفية أو الكيفيات التي تعبر بها اللغة الثانية عما عبرت عنه اللغة الأولى، ليخرجه في حلة لفظية من اللغة الثانية (5) reverbalisation وليقيم نوعا من المعادلات بين التعبيرين.

فمن مقومات الترجمة الناجحة الانتباه إلى هذا الأمر، ومنها كذلك المعرفة التامة باللغتين، اللغة المنقولة والمنقول إليها وتصاريفهما وإمكاناتهما التعبيرية. وهو ما عبر عنه الجاحظ بالقول :"إن الترجمان لا يؤدي أبدا ما قال الحكيم على خصائص معانيه وحقائق مذاهبه ودقائق اختصاراته... إلا أن يكون في العلم بمعانيها واستعمال تصاريف ألفاظها وتأويلات مخارجها مثل مؤلف الكتاب وواضعه(6). ويضيف في شروط المترجم (الترجمان ("ولا بد للترجمان من أن يكون بيانه في نفس الترجمة في وزن علمه في نفس المعرفة، وينبغي أن يكون أعلم الناس باللغة المنقولة والمنقول إليها، حتى يكون فيهما غاية وسواء(7) . وهي الفكرة نفسها التي ينقلها جان دوليل عن تييري(8).

ومن مقوماتها أيضا، النزوع بالترجمة نحو ما سماه الأستاذ طه عبد الرحمان الترجمة التأصيلية (9). وهي الترجمة التي لا تجعل القارئ يحس بأنه يقرأ شيئا غريبا عن لغته وثقافته. وهذا لا يكون

إلا إذا تمثل المترجم الفكرة في مظانها وعمل على استنباتها في بيئة اللغة الثانية استنباتا لا يكاد يترك للقارئ فرصة التشكيك في أن ما يقرؤه من صميم بيئته، خلاف الكثير من الترجمات التي هي عبارة عن طلاسم؛ فالكلمات عربية ولكن لا روح عربية فيها.

تجليات الترجمة الناجحة في "سيميائيات الأهواء":

تتحقق الترجمة الناجحة بمراعاة ما سبق ذكره، وبنباهة المترجم التي تعكسها الصورة التي تخرج فيها الترجمة. والناظر في "**سيمياء الأهواء**" يقف على جوانب كثيرة من هذه التجليات. فمنها هندسة الكتاب نفسه التي اتبع فيه المترجم طريقة تنم عن علو كعبه في الترجمة، وعن التزامه الدقيق بمقتضيات الترجمة الناجحة، من مراعاة النظرة إلى العالم وبيان المترجم في اللغتين وفي المعرفة أيضا . وهكذا نجد الأبواب تتوالى في تسلسل منهجي، من مقدمة للمترجم في 35 صفحة (ص.9–43 (تشتمل على 67 إحالة، ومقدمة خاصة بالترجمة العربية في أربع صفحات (45–48) وضعها أحد المؤلفيْن حشِّيتْ بأربع إحالات، ومقدمة الكتاب في 49 صفحة (49–66) بـ 33 إحالة. وأما الفصول فثلاثة، أولها يقع في 91 صفحة (67–157) بـ 83 إحالة، وثانيها في 75 صفحة (159– 234) ب63 إحالة، وثالثها في 131 صفحة (235–365) ب145 إحالة. وتنتهي الترجمة بخاتمة في ثلاث صفحات (367– 369) بإحالتين، تتبعها صفحتان، من عمودين، للمصطلحات مترجمةً وصفحتان للأعلام ثم فهرس للموضوعات. وسنقف، في التجليات، على ثلاثة معالم: المقدمة (مقدمة المترجم) والإحالات والاصطلاح.

أ– المقدمة :تعتبر المقدمة التي وضعها المترجم بمثابة منارة يهتدي بها القارئ في قراءة الكتاب وتمكنه من فهم ما جاء فيه. وقد أصاب في ذلك أيما إصابة؛ فقد نبه في الهامش الأول من الصفحة الأولى إلى وجوب قراءة المقدمة لفهم ما سيرد في الكتاب (10). فهي توضح ما استغلق من المفاهيم والقضايا، وتقرب القارئ إلى الأساس المعرفي لموضوع الكتاب. والأساس المعرفي هو مربط الفرس. وهو الذي يغفُل عنه كثير من المترجمين. ولذلك جاءت ترجماتهم عبارة عن طلاسم، لاعتقادهم أن المعرفة باللغتين، وحدها، كافية لقيام الترجمة. ولذلك، أيضا، نجد في الكثير منها جملا وتعبيرات لا روح عربية فيها. ثم إن هذا التنبيه ضروري، لأن هم المترجم معرفي بالدرجة الأولى. فهو يكتب لأهل الاختصاص لا لعامة الناس؛ فترك "ما في أيدي الناس وعامتهم" بتعبير

العالمة

ابن جني(11) لغيره من المؤلفين الذين ينشدون "الشعبوية" ومخاطبة العوام (12). وهذه المقدمة تشكل، من جهة أخرى، أكثر من ربع كتاب مما تقذف به المطابع إلى العموم زمنَ التردي و"شعبوية" المعرفة.

ب– الإحالات: إنها نمطان، إحالة الأصل وإحالة المترجم. وهي في، حد ذاتها، متن على متن يدل على علو كعب المترجم المعرفي. ففيها يوضح ما استغلق في المتن، باعتماد المعارف التي اكتسبها من قراءاته ومطالعاته العديدة والمتنوعة .وقد فاق عددها عدد صفحات الكتاب (398 إحالة)، وجاءت متنوعة.

فمنها ما خصص لإيراد مصطلحات وردت مترجمة في المتن، كما فعل في الإحالة 67 من الصفحة 138 التي تناول فيها المدونة الهووية (13)، وفي الإحالة 22 من الصفحة 78 التي يشرح فيها، في ثمانية أسطر، أسباب اختياره تعريب إثيسيا esthesis بدل ترجمتها بعبارة تجنبا لأي التباس أو غموض.

ومنها ما جعله للتعليق على فكرة وردت في المتن، لا تسمح مقتضيات الترجمة بإقحامها في المتن ولا بتركها معلقة دون شرح أو توضيح، كما فعل في الصفحة 170، الإحالة 17 التي شرح فيها قصة خيط السيد **هوشكورن** عند **موباسان** ووشاية أحد أعدائه به ظلما وعدوانا. وكما فعل في الصفحة 211، الإحالة 53 التي ميز فيها بين صيغتين للكينونة شبههما بالاختلاف بين المعرفة وبين التدبير(14).

ومنها ما جعله للتعريف ببعض القضايا أو المذاهب الفكرية، كما فعل في الصفحة 211 السالفة الذكر، الإحالة 52 التي شرح فيها **الدادية** والتوجه نحو الأناقة، وفعل في الصفحة 226، الإحالة 59 التي عرّف فيها بـ**الميكيافيلية** صاحبة المبدأ الشهير "الغاية تبرر الوسيلة".

ومنها ما جعله للإحالة على مظانّ أقوال أوردها صاحبا الكتاب. من ذلك عبارة "الغيرة اعتراف مكره بالاستحقاق" الواردة في الصفحة 277 بابِ تصاورات الغرماء والتماهي التي ردها إلى صاحبها (15).

ومنها ما أفرده للتعريف ببعض الأعلام الواردة أسماؤهم في المتن، كما فعل في إحالات عديدة من الصفحة 270 عرّف فيها بـ بارث ولاروش فوكو وراسين وستاندال وبومارشيه ولابروير.

ج– الاصطلاح: وفي هذا الباب سلك مسلكين، التعريب والترجمة. ولم يتباكَ على المصطلح مثلما يفعل الكثيرون، ولم ينحُ باللائمة عليه .فما تيسر له مما هو قائم أخذ منه تحديثا وتأصيلا؛ وما استعصى عليه اجتهد فيه بالتعريب والترجمة. فهمّه كان ولا يزال استنبات المفاهيم الوافدة، ثم محاولة إيجاد المصطلح الملائم. وفي التعريب سلك مسلك سلاسة اللفظ وسهولة مخارج حروفه. فالسيرورة التدليلية sémiosis بدأت عنده سيميوزيس، ثم سميوز، ثم انتهت مصطلحا مترجما مؤصلا مبنى ومعنى "تَدلال"، على صيغة تفعال الدالة على الكثرة والمبالغة. وكأني به يستحضر قول طرفة: وما يزال تَشرابي الخمور ولذتي...

والهيرمينوطيقا لم يعتمد فيها، لا التعريب الحرفي ولا الترجمة بالعبارة "علم التأويل" ولا الترجمة بـ"التأويلية" الملتبسة بين النعت والمصدر الصناعي، وإنما اختار لها تعريبا لا يخرجها عن دائرتها ويراعي في الآن نفسه سهولة المخارج فأصبحت"الهرموسية"؛ كيما تبقى مرتبطة بـ**هرميس** الإله ذي الوضع الخاص، الذي اعتمد التأويل في نقل تعاليم الآلهة إلى الآدميين الفانين.

ومما يدخل في باب الاصطلاح ترجمة وتأصيلا لا يخلوان من طرافة ترجمته، في الصفحة 31 (المقدمة)، المصطلحين الهووين euophrie و dysphorie بالصالح والطالح. حجته في هذا أن "الطالح والصالح عامّان ولا يقودان إلى الغموض كما هو الحال مثلا مع سلبي وإيجابي. إنهما يستوعبان حدا بحد كل الحالات الإيجابية من جهة (صالح) وكل الأشياء السلبية (طالح) "(16) . وهو في هذا يذكّر باجتهاد الأستاذ طه عبد الرحمان في ترجمته الكوجيطو الديكارتي ترجمة تأصيلية دافع عنها وعن ترك الترجمة الحرفية المعروفة **أنا أفكر إذن أنا موجود** (17).

خاتمة:

إن من أسباب نجاح هذه الترجمة أن الأستاذ بنكراد خبِر السيميائيات في بيئتها، وتمثّل قضاياها وأسئلتها قبل نقلها إلى العربية واستنباتها في تربتها، وهنا مربط الفرس. وإنه كان واعيا الوعي التام أنه لا ينتقل من نظام سيميولوجي (سوسير) إلى نظام سيميولوجي آخر فحسب، وإنما من نظرة إلى العالم وتقسيم له إلى نظرة أخرى وتقسيم آخر. وقد راعى في هذا كله مبدأ المعادلة

العالمة

بين النسقين والنظرتين، لا إعادة القول والتقطيع كما تم في النسق الأول. ومما مكنه من إنجاز الفعل على الوجه المطلوب، أنه كان مسلحا بمعرفة باللغتين ومقتضياتهما وبمعرفة سيميائية جعلت منه سيميائي اللسان العربي المعاصر من دون منازع.

الهوامش:

●نص العرض الذي ألقي في اليوم الدراسي الذي نظمه مختبر **"الترجمة وتكامل المعارف "**بكلية الآداب مراكش وفريق البحث في **"الترجمة والتعليم "**بكلية الآداب أكادير يوم 6 فبراير 2014بكلية الآداب بمراكش تحت عنوان **"السيميائيات ونظرية المعنى "** تكريما للأستاذ الباحث سعيد بنكراد.

11- للمزيد من التفصيل في هذا الباب، يُرجع إلى مقالنا المنشور في العدد الثاني من مجلة علامات، عدد 2، سنة 1994، والموسوم بـ **عن الترجمة والترجمة اللسانية بالمغرب.**

- A.M.Chabrolle-Cerritini : la vision du monde, p.90.2

3- إدوارد سابير(1884-1939) و بينجمان لي وورف(1887-1941) لسانيان أنتروبولوجيان اشتغلا بلغات الهنود الحمر الأمريكيين واشتهرا بما عرف بـ**فرضية وورف-سابير** .فما يحدد العالم الخارجي (الحقيقة الموضوعية) هو اللسان الذي تصدر عنه الرؤية، ذلك أنه لا يمكن للغتين مختلفتين أن تمثلا العالم تمثيلا واحدا ووحيدا، وهذا ما يترتب عليه القول بأننا بإزاء عالمين اثنين، فكل لغة "تصنع " عالمها. وهذا ما جعل وورف يقول بأن الإسكيمو لا يمكنه تصور وجود لفظة واحدة دالة على الثلج، كما هو الشأن بالنسبة للإنجليزية أو العربية مثلا؛ والسبب في ذلك أن لغته تتضمن ثلاث كلمات تسمي الثلج وهو نازل من السماء ثم وهو قد وقع على الأرض ثم وقد مر عليه زمن معين.

- Les Problèmes Théoriques de la Traduction, p.46.4

- Jean De Lisle : L'Analyse du Discours Comme Méthode de Traduction, p.37.5

6- كتاب الحيوان، الجزء الأول، ص.ص. 75-76.

7-المصدر السابق، ص.ص. 76-77، والتنصيص من عندنا.

8-مرجع سابق، ص.36 وفيها يقول " :ذلك أن الترجمة كما يعرفها Cristopher Thieryهي أن تعبر كتابة ، تعبيرا حسنا في لغة تعرفها معرفة جيدة ، ما فهمته فهما جيدا في لغة تعرفها معرفة حسنة.

9- فقه الفلسفة، 1 الترجمة والفلسفة. ينتقد الأستاذ طه عبد الرحمان الترجمة العربية للكوجيطو الديكارتي لما اعتراها من إطالة وحشو والتصاق بالأصل الأجنبي دون مراعاة ما يمكن أن يقابله في ثقافة العربية. ويقسم الترجمة العربية للكوجيطو إلى ترجمة تحصيلية (ص. 409..) ويعتبرها ترجمة حرفية، وترجمة توصيلية (ص. 437..) تقوم على حذف بعض العناصر التي يمكن أن تطول بها العبارة الناقلة، وينتهي إلى ما سماه الترجمة التأصيلية (ص. 467..) وهي الترجمة التي تحتفظ بالمضمون من غير النظر إلى خصوصية استعماله في أصله...ناظرة في أسبابه التداولية حتى يستطيع المتلقي إدراك المضمون .وقد انتهى، بعد اعتماد جملة من المعايير إلى اقتراح صيغة **أُنظُرْ تجدْ**)ص(491 .، وهي الترجمة التأصيلية التي متحت مما هو مستعمل في النص القرآني الذي تكرر فيه الأمر بالنظر القاضي بالتأمل والتفكر والتدبر. فمن ينظر موجود؛ ومن ينظر يبحث عما يجد.

10-" نشير على القارئ بقراءة هذه المقدمة، فهي تشرح الكثير من المفاهيم التي وردت في النص في شكل مكثف، كما تستحضر الأساس المعرفي الذي قامت عليه سيميائيات الأهواء"، ص.9.

11- هذه الفكرة وردت عند ابن جني حين حديثه عن الاشتقاق الأكبر، الخصائص،ج.2 ، ص. 134، وعبارته "فالصغير ما في أيدي الناس وكتبهم."

12- وفي ذلك يقول" :فنحن لا نتوجه إلى العامة، بل نتوجه إلى المتخصصين أو الذين يريدون الاطّلاع على قطاعات معرفية فضاؤها الكتب والمدرجات الجامعية لا الفضاءات العمومية"، ص. 43.

13-يقول في المتن" :ولقد رصدنا في الفرنسية الأنواع التالية" :هوى"، "شعور"، "نزوع "..."ثم ينبه في الإحالة المذكورة إلى أن الأمر يتعلق بالمقابلات الواردة على الشكل التالي، وينص على ترتيب الكلمات وفق نمط الكتابة الفرنسية حتى لا يلتبس الأمر على القارئ .

14- جاء ذلك في باب التخليق والحديث عن الانتقال من الأخلاق إلى الجماليات وتنظيم الكون الهووي.

15- يشير في الإحالة 42 إلى أن القولة مأخوذة من الفصل التاسع من كتاب Les Caractères لصاحبه Jean de La Bruyère

16-سيميائيات الأهواء، ص. 31، إحالة 46.

17-فقه الفلسفة ، مرجع مذكور. يراجع الهامش 9 من هذا المقال.

المراجع:

-الحيوان، الجاحظ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، الجزء الأول، دار الكتاب العربي، بيروت، ط.3، 1969.

-الخصائص، ابن جني، تحقيق محمد علي النجار، الجزء الثاني، دار الكتاب العربي، (د.ط.) (د.ت.(

-سيميائيات الأهواء: من حالات الأشياء إلى حالات النفس، ألجيرداس غريماس وجاك فونتنيي، ترجمة سعيد بنكراد، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، ط.1، 2010.

-فقه الفلسفة:1 لفلسفة والترجمة، طه عبد الرحمان، المركز الثقافي العربي، بيروت -الدار البيضاء، ط.3، 2008.

-مجلة علامات، العدد الثاني، صيف 1994.

-Chabrolle-Cerritini, Anne-Marie : La Vision du monde de Wilhelm Von Humboldt. E.N.S. éditions, Lyon, 2007.

-De Lisle, Jean : L'Analyse du Discours comme méthode de Traduction, éditions de l'Université d'Ottawa, 1980.

- Mounin, Géorges : Les Problèmes Théoriques de la Traduction, éd. Gallimard, 1963.

صدر حديثا

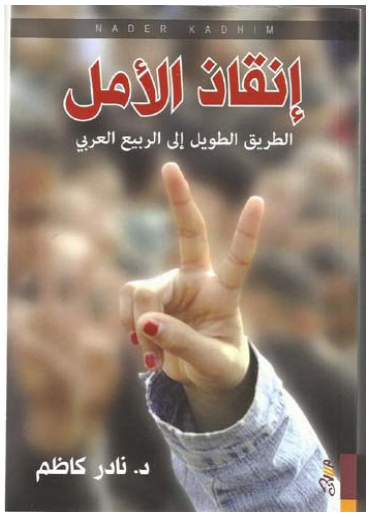

صدر حديثا